التَّكْوينُ الأكاديمي لِلدُّكْتوراه وَهُويَّةِ الْمَعْرِفَةِ السُّوسْيولوجِيَّةِ في الْعِرَاق
دِرَاسَةً في تَحْلِيلِ مَضْمُونِ السَّيْرِ الْعِلمِيَّةِ لِلْمُدَّةِ(1976-1990)

Academic training for the doctorate and the identity of sociological knowledge in Iraq

a study in the analysis of the content of scientific biographies for the period

(1976-1990)

أ.م. د. حاتم راشد علي

A.prof. Dr. Hatem Rashid Ali

جامعة القادسية / كلية الآداب/ قسم الاجتماع

hatim.rashid@qu.edu.iq

المستخلص :

تسعى الدراسة للتعرُّف على علاقة التَّكوين الأكاديمي للدكتوراه في تشكيل هُويَّة المعرفة السوسيولوجية في العراق، وحأولت الدراسة الوقوف على أَهمْ المدارس العالمية التي ساهمت في بناء التَّكوين الأكاديمي للأساتذة العراقيين في حقل السوسيولوجيا، إلى جانب معرفة المدرسة السوسيولوجية الأكثر حضورًا في هذا التَّكوين منذ بدايات مشروع الابتعاث في تحصيل شهادات الدكتوراه في علم الاجتماع. المنهجية: إنَّ تحليل المرجعيات الأكاديميةة تَطلَّب أداةُ مَنهجيةُ خاصَّةٍ، وهي أداة تحليل المضمون التي قَادَتِنَا إلى فحص الدَّليل التَّعريفي–السَّير العلمية للباحثين العراقيين في قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد، الذي تأسس سنة(1954)، ضمن مُدَّة زمنيَّةٍ حُدِّدت في السنوات(1976–1977/1989–1990) وهي المُدَدُ الزمنيَّةُ التي نَشِط فيها الأساتذة الْعَائِدِين من الابتعاث بواقع (25) استاذا كما ورد ذكرهم في الدَّليل التَّعريفي لسنة(1976–1977) وبواقع (23) استاذًا في الدَّليل التَّعريفي لسنة (1989–1990). النتائج: بَدَا مَعَنا في مُعَاينةٍ وتَحليل الدَّليل التَّعريفي لِلأساتذة العراقيين في قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد أنَّ تكوينَهُمِ الأكاديمية كان تكوينًا عالميًا، أي أنَّ الباحثين العراقيين انحدر جلُّهُم

من مرجعياتِ عالميَّةَ توزَّعت بين المدارس الرَّئيسة في تطوَّر حقل السوسيولوجيا في العالم، وهي المدارس الفرنسية والالمانية والاتحاد السوفيتي(سابقًا) والبريطانية ثم الأمريكية. الخلاصة: بَدَا على هُويَّة المعرفة السوسيولوجية في العراق في بدايات تكوينها الأكاديمية، أنها هُويَّة متأثرة إلى حد كبير بالمدرسة الأمريكية، إذ أظهر الدَّليل التَّعريفي أنَّ الأساتذة في قسم علم الاجتماع ذو مرجعيات اكاديمية انحدرت من الجامعات الأمريكية، مما انعكس على نتاجاتهم البحثية والتأليفية.

الكلمات المفتاحية: التَّكوين الأكاديمي، الهُويَّة، المعرفة السوسيولوجية، السَّير العلمي

Abstract:

The study seeks to identify the relationship of the academic training of the doctorate in the formation of the identity of sociological knowledge in Iraq, and the study tried to identify the most important international schools that contributed to building the academic training of Iraqi professors in the field of sociology, in addition to the knowledge of the sociological school most present in this training since the beginnings of the scholarship project in obtaining doctoral degrees in sociology. Methodology: The analysis of academic references requires a special methodological tool, which is the content analysis tool that led us to examine the introductory guide- scientific biographies of Iraqi researchers in the Department of Sociology at the University of Baghdad, which was established in (1954), within a period of time specified in the years (1976-1977/1989-1990), which are the time periods in which the professors returning from scholarship were active by (25) professors as mentioned in the introductory guide for the year (1976-1977) and by (23) professors in the introductory guide for the year (1989-1990). Results: It appeared with us in the examination and analysis of the introductory guide of Iraqi professors in the Department of Sociology at the University of Baghdad that their academic training was a global training, that is, researchers descended mostly from international references distributed among the main schools in the development of the field of sociology in the world, namely the French, German, Soviet Union (formerly), British and American schools. Conclusion: The identity of sociological knowledge in Iraq in the early academic formation seemed to be an identity largely influenced by the American school, as the introductory guide showed that professors in the Department of Sociology have academic references that came from American universities, which reflected on their research and authorial outputs.

Key words: Academic training, Doctorate, Identity, Sociological knowledge, Scientific Biographies

المُقدَّمة

إنَّ مراجعة تأريخ تطوَّر السوسيولوجيا في العالم، لايخرج عن كونه نتيجة سِجَال معرفي–ايديولوجي، وَسمَّت بداياته التأسيسيَّة إلى مدارس جغرافية– ثقافيَّة متنوِّعة، ويبدو ثمَّة اتِّفاق حول هذا الرأي، في أنَّ السوسيولوجيا اِرتكَزت في بدايات تكوينها إلى مدارس ثلاث رئيسةٍ، المدرسة الالمانية بجهود ماكس فيبر وكارل مانهايم مع تأثر فلسفي للأخير طبع علم الاجتماع، فضلًا عن الْمُناخ السياسي السائد آنذاك، والمدرسة الفرنسية بجهود أميل دوركايم، والمدرسة الأمريكية التي بَدَا عليها التفوَّق في تقديم علم الاجتماع بهُويَّة معرفية جديدة بفضل جهود تالكوت بارسونز في البنائية الوظيفية.

إنَّ هجرة (العقول العلمية) إلى الولايات المتحدة الأمريكية، سِيمَا بعد الحرب العالمية الأولى أمثال اصحاب مدرسة فرانكفورت النقدية: ادورنو، هوركهايمر، ثم كارل مانهايم، والنمسأوي بول لازارسفيلد وغيرهم، انما هو مُؤشر على تفوَّق المدرسة الأمريكية، إذ أنَّ اتاحة هامش من الحرية الأكاديميةة لهؤلاء، والتَّثاقف المعرفيُّ الذي حصل قَادَا –بلا شك– الجامعات الأمريكية إلى تفوُّقها عالميًا.

أشارت الدراسات العلمية في هذا السِّياق، أنَّ التَّكوين الأكاديمي للدكتوراه يُؤثِّر في سمعة ومقام القسم العلمي فضلًا عن الباحثين، وهذا ماعينه الأخوين(Cole & Cole) في دراسةٍ لهما بعنوان(Social Stratification in Science 1973)، وهذا التأثير يتبيَّن في متغيَّرات مثل: الانتاجية البحثية، والنوعية الاجتماعية للباحثين كالاستشهادات بهم، ومن ثم يحدد أولويات(معايير) للتَّراتُب الاجتماعي داخل بُنيَّة العلم، إلى جانب ما اشار اليه (ديفيد ميلز) حول تأثير الابتعاث للحصول على الدكتوراه في تطوَّير القدرات التنظيرية والعمل المقارن للباحثين.

ولهذا، فإن الدراسة الحالية تحأول تحليل أثر هذه التحوُّلات في حقل السوسيولوجيا على تطوَّر علم الاجتماع في العراق في بدايات تأسيسه، فكان السؤال المحوري: ما علاقة التَّكوين الأكاديمي للباحثين العراقيين بهُويَّة المعرفة السوسيولوجية–المحلية؟ ولأجل تحقيق ذلك كان لابُدَّ من أداةِ منهجيةِ خاصةٍ، نَحلُل من خلالها السَّيرِ العلمية للاساتذة العراقيين، فكانت أداة تحليل المضمون(Content Analysis) مناسبة لهذا الغرض، إذ تم تحديد المُدة الزمنية للسنوات(1976–1990) لتحليل السَّير العلمية للباحثين.

ولهذا، فإن علم الاجتماع رغم جهود الباحثين العرب والعراقيين في لحظة ما، يبقى علمًا وليد ظروفِ سياسيَّةٍ واجتماعيَّةٍ سجَّلت في لحظاتٍ تاريخيَّةٍ عنوانها الثورات العالمية المعروفة، والتي حدَّد بداياتها عالم الاجتماع الفرنسي(أوكست كومت)، فهو إذاً علم ناشىء ومُتحرّك في صَلب تحوُّلات انعكست في نظرياتٍ ومقارباتٍ علميةٍ غربيةٍ حصرًا، فشكَّلت بالنسبة لنا عدساتُ سوسيولوجية نُعاينُ بها مشكلاتنا، وهذا ما يدعونا مرارًا للتساؤل نحو علاقة(تفوَّق و/أو ارتهان) معرِفَتَنَا السوسيولوجية على الأقل.

أولاً: إشكاليَّة الدِّراسة وَمُبرّراتِهَا

إنَّ علم الاجتماع نتيجة تنوَّع المدارس والاتجاهات النظرية سَوَاء الكلاسيكيَّةِ منها أو الحَديثة، كما نُلاحِظ ذلك في جهود روَّاد التَّأسيس بَدءًا بدوركايم وماكس فيبر مُرورًا بِروَّاد المدرسة الأمريكية بزعامة البنائية الوظيفية، مع عدم حَسِم الانتهاء من هذا التَّدفُّق للتَّنظير، فعلم الاجتماع مازال نسقًا مفتُوحَا يستقبل نتائج العلوم الاخرى، فضلًا عن نتائج المجال الرَّقمي الهائلة.

يُشكِّلُ المقام التَّراتُبي للجامعات الأمريكية في منح شهادات الدكتوراه في علم الاجتماع بعد الحرب العالمية الأولى مُؤشِّرًا واضحًا في تفوُّقها، وقد يكون من مُميَّزاتها المنهجيَّة المتنوِّعة التي تبدأُ بالفرضيات وتنتهي براغماتيًّا بنتائج ذات تأثير على الرأي العام والمؤسسات، كما في مَدرسَتي شيكاغو التي ازدهرت فيها الدراسات الايكولوجية بفضل روبرت بارك وزميله بيرجس، ومدرسة كولومبيا التي سادت فيها الدراسات التطبيقية بفضل جهود بول لازارسفيلد، مما شكل عوامل جاذبة لهجرة الباحثين اليها، وهُنَا نَتساءلُ عن دور ابتعاث الباحثين العراقيين بُعيد الحرب العالمية الثانية وعلاَّقتهُ بتكوينهم المعرفيّ ومستويات انتاجيتهم البحثيَّة والتَّأليفيَّة في علم الاجتماع.

لذلك، اعطتنا مراجعة السَّيرِ العلميَّةِ للباحثين العراقيين إيذانا مشروعًا بتقديم تساؤُلات قد تُوصَفُ انها مُقتضيات مرحلة تاريخيَّة معيَّنة، سيمَا والمقصود هنا خمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن العشرين، لكن في ذات الوقت، نُجِيزُ لأَنْفَسَنا حق التساؤل عن أثر هذه المُدَّد الزمنية في هُويَّة المعرفة السوسيولوجية–المحلية، وهو يمثل تبريرًا لتوجه الدراسة الحالية نحو اختيار هذه المُدَّد الزمنية تحديدًا، ثم فَهْم ذلك(ضمنًا) بعلاقته في تطوَّر/تراجع السوسيولوجيا في العراق، مما اتاح ذلك تقديم تساؤلات في النحو الآتي:

- ما علاقة التَّكوين الأكاديمي للدكتوراه بِهُويَّة المعرفة السوسيولوجية في العراق؟.
- ما المدارس الاساسية في التَّكوين الأكاديمي للاساتذة العراقيين في قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد؟.
- ما المدرسة الأكثر حضورًا في التَّكوين الأكاديمي للاساتذة العراقيين في قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد؟.

أما مُبرِّراتِ اختيارِ الاشكاليَّة الحالية، فإن من الضروري بيان ذلك، إذ إنَّ اختيار المُدَد الزمنية الواقعة بين(1976–1990) إنّما يعود بنا إلى لحظة التَّأسيس الأولى وما تلالها لنظام البعثات سِيمَا بعد الحرب العالمية الثانية، الذي شمل كل التخصصات الانسانية والتَّطبيقية، التي ازدهرت ضمن هذه المُدَد انتهاءًا–وهذا مدعاة للأسف– مع دخول العراق مُجتمعًا ودولةً في حُقبةٍ زمنيةٍ يمكن أنَّ يُقال عنها(مظلمة) بعد حرب الخليج سنة(1990) وما تِلاَلها من انعزال تام للجامعات العراقية عن التطوَّر العلمي في العالم الخارجي، فتوقف على اثرها نظام البعثات إلى الجامعات العالمية. ويُمكِننا ايجاز المُبرِّرات في الآتي:

- توقُّف نظام الابتعاث إلى الجامعات العالمية في علم الاجتماع.
- اقتصار منح شهادات الدكتوراه على جامعة بغداد لغاية سنة (1990).
- إنَّ أغلب الأساتذة المُتمرِّسِين والحاصلين على شهادات الدكتوراه من الجامعات العالمية كانوا ضمن المُدَد (1976–1990)، كما اتَّضح في الدَّليلين التَّعريفين اللذين اعتمدنا عليهما في الدراسة الحالية.
- إنَّ أغلب القدرات التَّنظيريَّة والتَّأليفيَّةِ إلى جانب التَّرجمات كانت من نصيب المبتعثين إلى الجامعات العالمية في علم الاجتماع؛ مِمَّا ساعدنا على المقارنة وتحديد هُويَّة علم الاجتماع في العراق. في حين ترتَّب على انقطاع البعثات بعد سنة(1990) أنَّ تراجع مُؤشِّر التأليف، وفي الاعم تراجع مُؤشَّر التَّرجمة الذي يرتَهِنُ في ازدهاره إلى تعلَّم اللغة الانكليزية والعلمية للاختصاص.
- تَأسيسًا لمَّا سَبق، فإن الدراسة الحالية تَبحثُ في تأثير الابتعاث عند مستوى شهادة الدكتوراه إلى الجامعات العالمية ذات المكانة العالمية، وعلاقة ذلك بهُويَّة المعرفة السُّوسيولوجية في العراق، والذي تمَّت معاينته في المُدَدِ (1976–1990).

ثَانِيَا: الاطار المرجعي- النَّظريَّ

قَدَّمَ الأخَوِيَن كول وكول(J.R .Cole & S .Cole) دراسة مُعَنْوِنة بـ(Social Stratification in Science 1973)، وتضمَّنت عينةُ مُكونةُ من الفيزيائيين بواقع (1308) من أقسامِ جامعيَّةِ بلغت(58) قسم (دوبوا، صفحة 226)، مع اعطاء وزن في التمثيل ضمن العينة لفئة النساء؛ لان الاخيرة تمثل فئة محدودة في الانتاج البحثي والاستشهاد، والتي اعزاها العَالَمَان إلى ضعف مؤشرات ما اسمياه بفرضية التعزيز التفاضلي(Differential Reinforcement)، مثل الترقيات المبكرة والمنح البحثية والجوائز الشرفية (Zuckerman, p. 242).

إنَّ الهدف من دراسة العالمين هو تفسير الموقع/المقام الخاص بفئة الفيزيائيين داخل البناء التراتبي للعلم، وفي هذا السَّياق قَدَّمَا سبعة متغيَّرات في تمييز هذا التَّراتُب، تم التركيز على اربعة منها هي : العمر(The Old)، والمقام أو المكانة(Status) المتعلق بالقسم الجامعي، والانتاجية(Productivity)، وعدد المكافآت–

الجوائز(Rewards) مع اضافة متغيَّر آخر يتعلق بالنوعية الاجتماعية للعمل وهو يستند إلى حجم الاستشهادات العلمية(SCI)، ويَذكُرُ دوبوا أنَّ هذا المُؤشِّر لا يمثل(اطلاقًا) في حسم تميُّز العلماء فهو مقياس ملائم لنوعية محددة في اطار عمل ما (دوبوا، صفحة 227).

تبدو النُّكْتَةُ الاساسية في هذه الدراسة، هو رهن سمعة القسم العلمي للعالم بنجاح هذا العالم، وبمعنى آخر أنَّ مكانة العالم مرتبطة بمقام القسم الذي ينتمي تكوينه الأكاديمية اليه، وهو ما يساعد على بروز(ظهوريته) أي أنَّ ما يقوم به من عمل يسهل معرفته واسناده إلى تكوينه الأكاديمية هذا. فالعالم–الاستاذ الجامعي يستطيع بفضل تكوينه الأكاديمية أنَّ يؤسس لنفسه سمعة، وهذه الجزئية رغم عموميتها التي اظهرها الأخوين كول، إلَّا انها تُعطِي مُؤشَّرَا ثانويًّا مهمًا هو أنَّ مقام القسم العلمي أو الجامعة يؤسس هُويَّة الباحث العلمية، وهو ما أسماه الأخوين بـ(النجاح–الظهور)، وهذه الهُويَّة تتضمَّن: اللغة والادوات النظرية والمقارنة، وهو تفوَّق ملحوظ عكس الاستاذ الجامعي الذي ينتمي إلى قسم بمرتبة أقل، أي تَّكوين اكاديمي محلي، عندئذ نلاحظ عناصر الهُويَّة المشار اليها كاللغة–الترجمة ضعيفة إنَّ لم تكن موجودة، إلى جانب ضعف الأدوات التحليلية–التنظيرية ومستوى المقارنة.

إنَّ فهم التراتُبيَّة بين الجامعات، انما اختزلها الاخوين كول في فكرة مؤداها: أنَّ هناك ضرورة في تحييد المكانة للجامعة أو القسم العلمي وفق مقتضيات لايمكن معها اكتساب التفاضل–التمايز بين الجامعات. ففي دراسة اجريت عن علاقة انتاجية البحث وتصورات الأكاديميةين حيّالها، أنَّ جملة عوامل تقيد سمعة الجامعة جاء في مقدمتها ما يعرف بالسمات المؤسسية(Institutional Features) التي تتضمن: (نوع وحجم المؤسسة الأكاديمية، ظروف القسم أو الجامعة، التمويل، المختبرات..الخ)، وهي سمات الجامعة المتفوقة و/أو اللامتفوقة التي تتيح لباحثيها الدافع الابداعي في نوع وحجم الانتاجية (Angela Brww, pp. 681–697) .

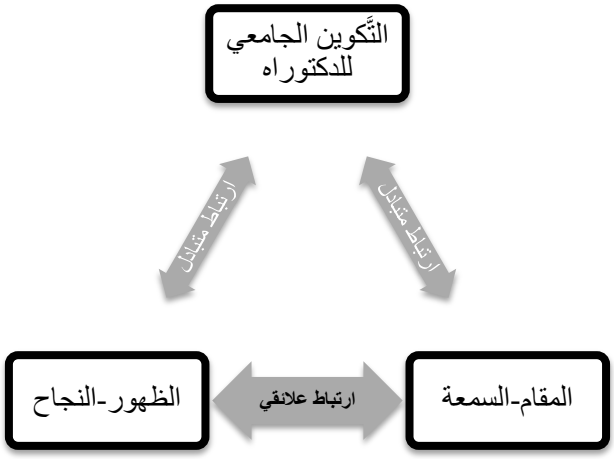

رسم توضيحي 1 التأثير العلائقي بين التكوين الأكاديمي للدكتوراه ومتغيرات المقام والنجاح استنادا إلى مقاربة كول وكول

والمُلاحِظ على دراسة الأخوين، أنَّ الحضور المتبادل بين متغيَّرات التمييز للعلماء مرتهنة إلى هذا التأثير المتبادل، سواء في انتاج العالم لأبحاث نوعيَّة أو كميَّة، كلها تتحدَّد وفق التَّكوين الجامعي للدكتوراه، لكنها ليست سببية، إذ هي ظروف متعلقة بهذا التَّكوين تساعد الباحث على تمييز نفسه أمام الآخرين سواء في رصانة ما يكتب أو ترجمة الافكار أو القدرة التنظيرية لمؤشرات الحياة اليومية، والقدرة ايضًا على نقل حقول معرفية تأسيسيَّة إلى البلد الذي ينتمي اليه هذا العالم أو ذاك. ويبدو منطقيًا التساؤل عن العائد الأكاديمية للجامعة جراء المساهمة في التَّكوين العلمي للاستاذ الجامعي، ففي دراسة سابقة حأولت الاجابة عن هذا السؤال، اذا ما كانت الجامعات كمؤسسات بحثية تدعم مشاريع الاستاذ في اجراء البحوث، فإن ما تجنيه الجامعة هو السمعة(Reputation) (Elisabeth. M . S, p. 12)

لذلك نجد في مقاربة كول ما يؤسس لتصنيفات تراتبيَّة بين انواع التَّكوين الجامعي للأساتذة، ويمكن لمُقتضيات الدراسة الحالية أنَّ ننظر في تصنيف مقترح لانروم منه الاحكام الاخلاقية بقدر مُتطلَّبات التَّحليل فقط، وهذا التَّصنيف يتوزَّع إلى فئتين اساسيتين(عالميَّ/محليَّ)، كما أنَّ هذا التَّكوين الفرعي للفئة يَندرج ضمنَهُ تكوينَّ فرعيٌّ–فرعيٌّ.

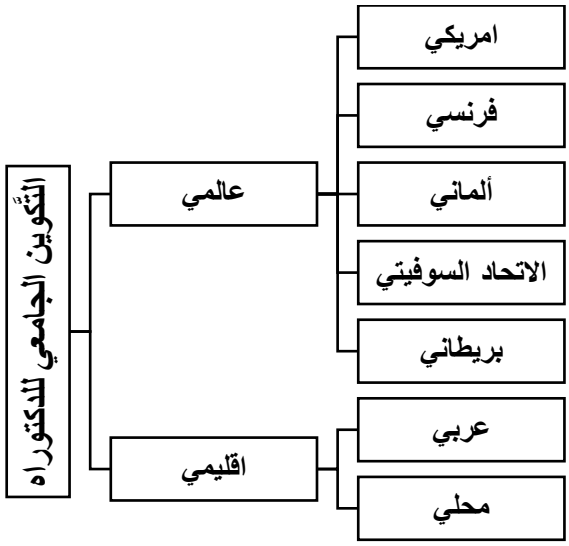

رسم توضيحي 2 فئات تحليل التَّكوين الأكاديمي للدكتوراه

وهكذا، يمكن فَهم التَّكوين الأكاديمي العالمي للأستاذ بوصفه خاصية جوهرية في تقييم هُويَّة المعرفة السوسيولوجية في العراق، وهو ما يستدعي متابعة تحليلية لمجمل المرجعيات الأكاديميةة(السَّير العلمية) للأساتذة؛ كي يمكن وصف واقع المعرفة في حقل السوسيولوجيا، فضلًا عن فَهم متضمَّنات نتائج التَّكوين الأكاديمي(تفوَّق/اخفاق) في سياق الدراسة الحالية. وهنا يصف نورمان فاركلوف (N. Fairclough) هذه العملية الضمنية بـ(التناص) الذي يتَّضح معنا في السؤال الذي اثاره فاركلوف نفسه وهو« ما النصوص والاصوات التي

يتضمنها النص، وما التي يقصيها» (فاركلوف، صفحة 139)، فثمَّة دلالات داخل الدَّليل التَّعريفي للأساتذة العراقيين تتيح لنا وصفها بالنتائج المرتبطة بتَّكوينهم الأكاديمية، وهذه النتائج ربما تبدو استدراكات حيَّال انقطاع البعثات العلمية في علم الاجتماع، وتراجع واقع الاختصاص.

وفي دراسة ثانية قدَّم(ديفيد ميلز)، عرضًا موجزًا لتاريخ دراسات الدكتوراه للمبتعثين إلى الجامعات العالمية، وربط هذه العلمية بتطوَّر حقل السوسيولوجيا، وفي هذا الاطار تم البحث في اصول حركة الطلبة على الصعيد الدولي في أواخر المرحلة(الاستعمارية)، وَركَّز على عناصر اساسية تتعلق بنواتج ما تجنِّيه الجامعات العربية من فوائد تُجاه ابتعاث طُلاَّبها إلى الجامعات العالمية المعروفة من خلال ما سَمِّيُّ بـ(هجرة العقول) (ميلز، صفحة 139). كما اتاح ديفيد ميلز الفرق ما بين الشهادات التي تمنحها الجامعات العالمية والتحصيل المحلي، مُلاحظًا نوعان من الفروق:

- ❖ القدرات التنظيرية والعمل المقارن(التحصيل العالمي)،
- ❖ قوة قدرات البحث الاجتماعي–الميداني(التحصيل المحلي)،

ومن خلال هاتين النقطتين، فإن مقاربة واقع الابتعاث ونتائجه على المعرفة، يقدم –إلى حدما– عدم المسأواة و/أو الهرميَّة في التفوَّق المجالي للمعرفة السوسيولوجية، فاذا ما اردنا فَهم النقطة الأولى المتعلقة بالقدرات التنظيرية والعمل المقارن، فهي تشكل سمَة التحصيل العالمي للدكتوراه، لكنها ليست متفوَّقة على النقطة الثانية المتعلقة بالبحث الاجتماعي الميداني، فيمكن أن يجتمعان معًا في هُويَّة الاستاذ الجامعي ذو التَّحصيل العالمي، لكن بالنسبة إلى الاستاذ ذُو التَّحصيل المحلي قد لا يجتمعان معًا لِيُشكِّلَا هُويَّة الاستاذ، إذ أنَّ قدرات التنظير والعمل المقارن راجعة إلى فهم اللغة ومواكبة العلماء ونتاجاتهم في الجامعات العالمية، وهذا ربما سيتَّضح(ضمنًا) في معاينة السَّير العلمية للأساتذة العراقيين، فيُلاحظ على قسم منهم قدرات تنظيرية وفكرية وإحالات مرجعية لعلماء اجانب، في حين تبدو النقطة المتعلقة بتِقنيات البحث الاجتماعي المحلي سِمَة غالبة على الأساتذة ذَوِي التَّكوين الأكاديمي المحلي.

ثَالثًا: نُبْذَةُ تاريخيَّةُ عن التَّكوين الأكاديمي للدكتوراه

ربما تُعد بداية التَّكوين العلمي للمثقفين العرب مُرتهنةُ إلى بزوغ الحملات الكولونيالية التي فِتَن من خلالها المثقفون بمنجزات الغرب. إذ إنَّ الاحتكاك بأوروبا كان سببًا في ولادة نخبة المثقفين العرب، اذا ما عرفنا أنَّ قسم منهم قد بدأوا برحلات إلى الغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أمثال: علي مبارك، وجمال الدين الافغاني، ومحمد عبده، فهم طلاب معرفة حسب رأي(جيرار ليكلرك) (ليكلرك، صفحة 199).

وبالنسبة إلى التَّكوين الأكاديمي للدكتوراه في علم الاجتماع في البلدان العربية، فإن الإفتِتَان بالغرب مازال مُؤثرًا بشكل كبير، ولا شك تاريخيًا أنَّ مصر كانت رائدة في ذلك عبر الابتعاث العلمي. إذ نشأ علم الاجتماع فيها سنة(1925) كأول قسم مرتبط بالفلسفة بجامعة القاهرة، لحين استقلاله سنة(1956)، أما عن المدرسة المعرفية التي مَال اليها المُهتمِّين بعلم الاجتماع فهي المدرسة الفرنسية، وَارِثَها المُمتدَّ إلى تاريخ الاستعمار الفرنسي (بدوي، صفحة 132). ويُذكر أنَّ الرَّعيل الأول من علماء الاجتماع في مصر كان تكوينهم الأكاديمية للدكتوراه مُنحدرُ من الجامعات الفرنسية، فَأُختير عددُ من المتفوّقين في اقسام انسانية كاللغات والفلسفة للحصول على الدكتوراه في علم الاجتماع، وهؤلاء: (علي عبد الواحد، حسن الساعاتي، حسن سعفإن، احمد الخشاب، احمد ابو زيد، عبد المعز نصر..، وعند تدشين القسم في مصر سنة(1953) بشكل مستقل، عُين علي عبد الواحد وافي كأول رئيس قسم ثم جاء بعده عبد العزيز عزت، وكلاهما تتلمذوا في فرنسا بل أنَّ مؤلّفاتهم عَكَست التأثير الفرنسي في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، للحد الذي استمر التأثير للذين لم يتعلموا في فرنسا مثل: الدكتور مصطفى الخشاب، والدكتور احمد الخشاب (ابراهيم، صفحة 97).

وفي ذاتُ السِّياق، شَهِدَ المغرب الذي أُخضع للحماية الفرنسية سنة (1912) أنَّ أُسُس فيه معهد الدراسات العليا المغربي سنة(1920)، وكان هدفه نشر الأبحاث العلمية الخاصة بالمغرب حول لغاتها وثقافتها، وهو –على مايبدو– هدف استشراقي، ولذلك غدَّت السوسيولوجيا في المغرب إلى جانب دول المنطقة انها تشكل امتدادًا للسوسيولوجيا في فرنسا منذ ستينيات القرن العشرين حتى بعد الاستقلال السياسي لهذه الدول، ولاينكر تأثير العالم الفرنسي(بيير بورديو) على التوجهات البحثية مثل البحوث التي تنأولت موضوعات العمل، والسكن، والاستهلاك في الجزائر (شنتوف، صفحة 138). وفي الجزائر يَذكُرُ أنَّ استعمال مصطلح السوسيولوجيا الفرنسي(Sociolgie) ترافق مع تأثير دوركهايم، ثم توالت دراسات متأثرة بهذا المعنى تبحث في مسائل(ثقافية–هُويَّاتية) كالاسلام والبربر..، ويعود الفضل فيه ايضًا إلى تأثير اتباع المدرسة الفرنسية امثال: (ريني مونيي R. Mounie) (الزبير، صفحة 113). وفي تونس لم يختلف الحال، إذ الحضور للمدرسة الفرنسية على مساحة واضحة، فمنذ وضع برامج لتدريس علم الاجتماع للمُدّد (1961–1979) كان التَّكوين الفرنسي لاكتساب المعرفة لدى المتلقي التونسي كبيرًا للحد الذي بلغ عدد المراجع المكتوبة باللغة الفرنسية نحو(191) مرجعًا (لبيب، صفحة 325).

إنَّ حضور علم الاجتماع في الحالة العراقية، كان حضورًا تأسيسيًا، إذ تميَّز بخاصيَّتين: الأولى، أنَّ العراقيين اسهموا في السَّبق التاريخي لتأسيس علم الاجتماع في العالم العربي إلى جانب مصر ولبنان، الثانية أنَّ التَّكوين الأكاديمي للدكتوراه لدى العلماء العراقيين منحدر من الجامعات الأمريكية سيمَا الجيل الأول الذي سيأتي الحديث

عنهم خلال الدراسة، وهو ربما سَّبقُ آخر في نقل وترجمة المعرفة السوسيولوجية الأمريكية، فضلًا عن تقديم جزء من الاسهأمات السوسيولوجية العربية إلى أمريكا، والكلام عن الدكتور علي الوردي الذي قدَّم اطروحته للدكتوراه سنة (1950) عن ابن خلدون. وأُسس قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد سنة(1954) بعد عودة المبتعثين امثال: الدكتور علي الوردي، الدكتور عبد الجليل الطاهر، الدكتور حاتم الكعبي.

جدول 1 التكوين الأكاديمي عند جيل المؤسسين في علم الاجتماع

ت	الباحثون	الجامعة	السنة
1	علي الوردي	تكساس-أمريكا	1950
2	عبد الجليل الطاهر	شيكاغو-أمريكا	1952
3	حاتم عبد الصاحب الكعبي	شيكاغو-أمريكا	1954

وتميَّزت نتاجاتهم بقدراتٍ متنوَّعة من التحليل سواء النظرية أو التطبيقية، وما ظهر عليها ميلها في الاستشهاد والمقاربات إلى المنظرين الأمريكان –سيأتي الحديث عنهم خلال البحث–، لكنهم استطاعوا أنَّ يضعوا ملامح هُويَّة عراقية في السوسيولوجيا عبر جهود تنظيريَّة ما زالت مُؤثرة في فهم البناء الاجتماعي في العراق، سواء في تشرذم جماعاته ام معوقات انتظامها. لقد شغل الرواد مساحة زمنية فيها من الحيوية التأليفية والبحثية والترجمات الشيء الواضح طوال المُدَّد ما بين(1950–1970/1969)، ويمكن وصف ما انتجوه بالأصالة التأسيسية، كونهم واكبوا التغيَّرات الاجتماعية– المحلية مما انعكس على نتاجاتهم.

ولتأكيد مستوى التوافق هذا، فإن علي الوردي شَكل نموذجًا بارزًا، إذ جاءت فرضياته وفقًا لتأثير التحوَّلات الاجتماعية في العراق، فقدَّم موقفه السوسيولوجي/التنظيري في ثلاثة فرضيات رئيسة، ففي كتابه الأول:(شخصية الفرد العراقي عام 1951) وَضَّح فرضيته الأولى حول فكرة ازدواج الشخصية ثم أَسهَبَ بشرحها في كتابه:(دراسة في طبيعة المجتمع العراقي عام 1965) (الوردي، صفحة 12)، مُبيّنًا في الواقع مشكلة الانسان العراقي في عدم قدرته في التعاطي مع مُنجزات الحضارة، فهو يحسب ألف حساب لما يَعتريه من قلق وارتداد واضح إلى القيم البدوية و/أو الريفية، ومن ثم هذين النظامين من القيم إنما هما متعاكسين عند الوردي، يَنتج عنهما تناقض مع مفهومي الدولة والاحتراف، في الأولى يَجِد أهل البدأوة أنفسهم ليسوا ميّالون إلى الدولة، بل ينَفِرون منها، وهذا مرتبط بتنظيم القبيلة بوصفه كيان سياسي يحل محل الدولة، ومن ثم، الخضوع للدولة مَذَلَّة ودفع الضرائب لها إقرار بالمذَلَّة، وهو ما يعني في الحالة الثانية، أنّ الاحتراف المشتق من المهنة والحرفة هي الأخرى مَهانَة بالنسبة لهم، فمن خلالها يصبحون أفراداً تابعين للدولة وطِبَاعهم ليست كذلك فهي جُبِلّت على الغزو والنهب.

ثم بعد ذلك ينتقل الوردي نحو معالجة ما عُرف بـ(المدّ والجزر)، والمقصود به المد البدوي وهو مقدمة لظهور مفهوم التريّف الذي مازال لليوم يشكّل هاجس الانسان العراقي في المناطق الحضرية، فهذا المد يسيطر تارة ويتراجع حينًا بفعل نفوذ الحضارة ومنجزاتها، فهناك تَمدَّد واضح لقيم ريفية نجده بمظهر مفاهيمي مختلف إلا أنه مرتبط بأصل التمدَّد الريفي، من قبيل: (أبن عشيرتي– گرايبي) الموجود كمصدر قرابي رئيسي في الريف، ما يماثله في المدينة ضمن المعنى التقليدي بعبارات(أبن محلتي) أو (جيراني) أو (أبن ولايتي) (محمد، صفحة 213)، وهذا (الصراع؟) عند الوردي ما زال قائماً بقوة **لكن ما هي أسبابه؟**،

في كتابه لمحات اجتماعية، يَوضّح ذلك بضعف بناء الدولة بالكامل عبر حكوماتها المركزية، وعدم أهمية القانون في ضبط الأمن، لكن هل الصراع نَتَج عنه بالمفهوم الماركسي قضية جديدة تتمثل بدولة جديدة ونظام قيم جديد(ايديولوجيا)، أم أننا لسنا ضمن خانة الصراع ؟. وبالعودة إلى كتابه دراسة في طبيعة المجتمع العراقي فإن الوردي حأول رَدَم دائرة ابن خلدون بين نظامي القيم(البدوي والحضاري)عبر مناداته بتطبيق النظام الديموقراطي، فإن الانشقاق بين الجماعات في العراق سواء كانت قبلية ام طائفية ام قومية، لا يمكن القضاء عليه الا بالنظام الديمقراطي من خلال تشارك كل فئة في الحكم حسب نسبتها العددية.

أما في الفرضية الثانية(ازدواجية الشخصية) فإن تناقض السلوك الميَّال إلى أحد نوعي نظامي القيم بالتنأوب لدى الانسان العراقي انما يتحول إلى طريقة ميكانيكية يتعاطى معها الفرد دون أن يشعر بهذا التناقض، فضلًا انه يتمثَّل ذلك بوصفه إرثًا ثقافيًا/ تاريخيًا، وهذا ما أشره الوردي في ثلاثة ظواهر مثل: الطريقة الجدليّة، ونمط التربية الأسرية، وتناقض القيم كالعصبية مقابل النخوة وحق الجيرة مقابل الحرية الفردية والمسأواة بين المواطنين (الحيدري، صفحة 72)، في حين كانت الشرائح التي تنعكس فيها هذه الظواهر، هي(حضرية–المدن) بشكل كبير كما(اعتقد الوردي) مثل المُتطرِّفين، والنَّخب من المُتعلِّمين والمُثقَّفين، وفي النظام البيروقراطي أو المُدَرَاء، والسياسيِّين.

وشَكَّلت فرضيته في(التناشز الاجتماعي) الفرضية الثالثة، التي أشرها الوردي في ثلاثة أبعاد: الحقوق والواجبات، وسائل الاعلام واختيار شريك الحياة، التراث الديني والتغيّر الفكري، في البُعد الأول، العراقيون يطالبون الحكومة بتوفير كل شيء مقابل عدم التزامهم ما تريده الحكومة منهم، والبعد الثاني، الحديث عن اختيار شريك الحياة عبر الحب والعلاقة الوجدانية مقابل الرضوخ إلى المنطق التقليدي– العائلي في اختيار الشريك، ومثَّل البُعد الثالث عدم مجاراة رجال الدين للتغيَّرات في النسق العام للتفكير في العالم، فهذه الأبعاد من التناشز الاجتماعي جعلت الوردي يُعيد بناء نسقه النظري عبر إنتاج صراع البدأوة/الحضارة (الخلدوني) بصورة تناشز اجتماعي بين حضارة حديثة وحضارة تقليدية (الجبار، صفحة 104)، وهذا ما ميَّزه عن ابن خلدون، فالأخير أقفل الدائرة بتوحش

قادم ومستمر على العمران متمثَّل في نصوص سجلها ابن خلدون في مقدمته: ‹‹الأوطان الكثيرة القبائل قلَّ أن تستحكم فيها دولة›› و ‹‹الرياسة في أهل العصبية›› و ‹‹الأمم الوحشية أقدر على التغلَّب ممن سواها›› (خلدون، صفحة 141)، بينما الوردي فَرَّط هذه العُقدة عبر تناشز شطره الأساسي تغيَّر قادَّم من الأمام المجتمع وليس التاريخ من الوراء، وهو كفيل بشدَّنا اليه وتحويل خياراتنا من الماضي إلى الحاضر حتى وان بَعُدّت المسافة وانقرضت أجيال.

إنّ فرضيَات الوردي شَكَّلت نسقًا نظريًّا متحرِّكًا؛ بمعنى دخلت في حوار مستمر مع الحياة العامة، بل لا نجدُ أَحدًا من الباحثين عند دراسة المجتمع العراقي الا وذكر(صراع القيم) نموذج الترييف والحضر أو (ازدواج الشخصية) ونموذج السلوك المتناقض أو(التناشز الاجتماعي)ونموذج المرحلة الانتقالية للعراقيين، وما جعل الوردي بهذه الكيفية من الحيوية في النقاش السوسيولوجي المحلي هو أسلوبه البسيط في اختيار اللفظ واحاطته معنى يخطر في الذهن بسرعة، وتضمّين اللفظ والمعنى انتقادًا ساخرًا تُجاه الظواهر المتضمَّنة لفرضياته. فالوردي، لم يكن مجرد عضوًا في مدرسة السوسيولوجيا العراقية، اذ احتوى مشروعه تحليلًا ونقدًا للظواهر في المجتمع، مع طروحات قدمها كبدائل كما في حالة الديموقراطية، فأَجاد في التساؤُل وأَجاد في طرح البدائل، مما رشحه ذلك لان يكون محل اهتمام واسع في أوساط العامة والأكاديميةين، فحوله دَارَت النقاشات والمراجعات واستدعاء ما كتبه لغاية الآن، وإلى جانب ما مَيَّزه كما أشار دكتور اياد القزاز، كونه تَفَرَّد من بين علماء الاجتماع في العراق، نحو تطبيق الاطر النظرية الاجتماعية إزاء الواقع الاجتماعي، فقد حأول مرارًا ضمن سلسلة من كتبه أصدرها تباعًا في دراسة التاريخ الاجتماعي العراقي والاسلامي من خلال اتجاهات علم الاجتماع، مع تفرَّده كذلك بتجأوز الاسلوب المباشر في الكتابة الأكاديميةة الصارمة والتي تخاطب العلماء أو الباحثين، فكان هدفه مخاطبة جمهور عام، وتقديم قضايا علم الاجتماع ضمن حديث العامة، كالبناء الاجتماعي، والعمليات (Processes)، والتغيَّر في المجتمع العراقي (Qazzaz, p. 98).

وضمن الاتجاه التنظيري، فإن الدكتور عبد الجليل الطاهر(1917–1971) شَكَّل العضو الثاني البارز في تسجيل نقد سوسيولوجي تَجاه موضوعات متعدَّدة كالبدأوة في العراق وطرق تنمية الريف العراقي والمجتمع المديني والشخصية العراقية، لكن يبدو أنّ جهده التنظيري والمعرفي ظهر بشكل جريء مع طروحاته حول الشخصية العراقية اذ وصفها: ‹‹شخصية مُتَقوقِعة وقَلَقَةُ في آن معًا››، تبرز في مظاهر الانتماء للأسرة والمحلة أو القبيلة والطائفة وتنظيمات صغيرة تسحب الفرد العراقي نحو إملاءاتها المُتَحَجِّرة مما يسفر عنه تصدَّع في البناء النفسي للشخصية وتصدَّع في البناء الاجتماعي العام، كما أن شخصية العراقي تَتَميَّز بمظهر تاريخي ضمن مرحلة تاريخية يستغرق كثيرًا في استدعاء هُويَّته، فمركز الثقل يختلف في اهتمامه من مرحلة إلى أخرى، مع تمتَّع هذه

الشخصية بكثافة العلاقات في مستوياتٍ واطاراتٍ مختلفة (الطاهر، صفحة 35)، كما نلمس وضوح الحس النقدي للطاهر في كتابه(أصنام المجتمع، 1956) فيقدم وصفًا جريئًا في شيوع الأوهام والأساطير والأفكار المغلوطة خارج سياق البحث العلمي والمنطق، ممن يتعصب لها الفرد، وهي تُشاع في المجتمعات البسيطة والمجتمعات ذات الانظمة السياسية/الدكتاتورية والارستقراطية (الطاهر، صفحة 5)، وإضافة لما أنتجه الطاهر من أبحاثٍ تأسيسيَّةٍ في المعرفة الاجتماعية، فإن مِمَّا سُجِّل له ترجماته لِأبحاث وكتب ولعل أَبرزها كتاب(الأيدولوجية والطوبائية، 1968) لكارل مانهايم، مع مقدمة المترجم التي تجأوزت الـ (20) صفحة الأكثر وضوحًا مما ترجمه في هذا الكتاب، وكتاب(العشائر والسياسة، 1958)، وهو بحث استخباراتي بريطاني عُثر عليه الطاهر في أمريكا يتحدَّث عن الاحوال الاجتماعية والسياسية للعشائر وعلاقتها بالإدارة البريطانية.

إلى جانب الطاهر، ظَهَر الدكتور حاتم الكعبي(1917–1979) ويَعُد أول مهتم بظواهر السلوك الجمعي في العراق وربما(عربيًا) ، فضلًا عن سبقه التأليفي– المنهجي في علم الاجتماع خلال اربعينيات القرن العشرين تزامنًا مع ظهور كتاب(مقدمة في الاجتماع سنة 1939) للدكتور عبد الفتاح ابراهيم، ويمكن فَهم توجَّه الكعبي من خلال مؤلفاته الرئيسة كمؤلف(في علم اجتماع الثورة 1959) و(حركات المودة1971) و(السلوك الجمعي، 1973)، ففي كتابه حركات المودة يؤرخ لازدياد ظاهرة المودة في الحياة واتساعها في المدن وارتباط هذا النوع من الظواهر بالتغيَّر الاجتماعي السريع، وهو بلغة السلوك الجمعي –كما يقول– دلالة على تزايد الذَّوق العام، والتَّقويم العام، والرأي العام في المجالات السياسية والاقتصادية بصورة خاصة، مع تزايد أهمية السلوك الكتلي والسلوك الجماهيري، والظواهر الجمعية ومنها المودة بصورة عامة (الكعبي، صفحة 11)، أما كتابه(السلوك الجمعي) فقد قدَّم الكعبي نفسه فيه بوصفه سوسيولوجي صارم يعتمد في بحث النظريات وعرضها بشكل مُكثَّف عبر مصادر كثيرة وأجنبية، وهو مما يعني سِعَة الاطلاع لديه، مع ايراد مقدمة لأستاذه(هربرت بلومر) مؤسس التفاعلية الرمزية في علم الاجتماع مُعِدًا كتاب الكعبي اضافة للنتاج الفكري في علم الاجتماع (الكعبي، صفحة 12).

رابعاً: المَنْهَجِيَّة

إنَّ مُقتضيَات الدراسة الحالية، سواء في وضع تساؤلاتها وتحديد اهدافها، الزمت الباحث في استخدام تِقنيَّة منهجيَّة تصنّف ضمن البحوث الكيفيَّة–التحليليَّة، وتلك هي تِقنيَّة تحليل المضمون(Analysis Content)، ومن خلال هذه الاداة تم وضع خطوات منهجيَّة خاصة وهي : تحديد نطاق الموضوع المُزمَع دراسته وهو مُؤشَّر(التَّكوين الأكاديمي)، أما تحليل الفئة الفرعية من البيانات فهي(الدكتوراه) وفي سياقها التحليلي تم استخراج الفئات المجردة من الفئات المشاهدة في البيانات وتصنيفها إلى فئتين مجردتين هما:(تَّكوين عالمي/تَّكوين محلي).

أما عن وحدة التحليل(العينة) فقد شملت الدَّليل التَّعريفي بالمرجعيات الأكاديميةة للأساتذة في قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد.

وفيما يتعلق بمجالات الدراسة، فإن المجال الزمني ارتبط بلحظة التَّوثيق للسَّير العلمية للأساتذة في علم الاجتماع ممن تحَصِّلوا على شهادات الدكتوراه ضمن مُدد زمنية ترأوحت مابين(1976–1977/1989–1990) (جامعة بغداد، صفحة 455)، وهما دليلين تعريفين صدَرَا في مدتين زمنتين كما هو واضح، مِمَّا اتاحا فرصة التحليل عن دور الابتعاث في الهُويَّة السوسيولوجية المحلية، وضبط الهُويَّات التعريفية للأساتذة الذين امتدوا على طوال هذه المُدد منذ حصولهم على شهادات الدكتوراه ولغاية سنة(1990) (جامعة بغداد، صفحة 53). أما المجال المكاني فقد اقتصر على قسم علم الاجتماع في جامعة بغداد لاعتبارين أساسيين: الأول، أنه أول قسم تأسس في العراق سنة(1954) فضلًا شغله الحيز المكاني الأوحد في احتضان الوافدين من الابتعاث إلى الجامعات العالمية، الثاني أنَّ تأسيس الأقسام الاخرى لعلم الاجتماع في الجامعات العراقية لم يتم الا بعد سنة(1990) تقريبًا، واخيرًا بدَا واضحًا أن المجال البشري تمثل بالأساتذة ممن تحصَّلوا على شهادات الدكتوراه في علم الاجتماع.

خَامِسًا: نتائج فئات تحليل مضمون الدَّليل التَّعريفي للأساتِذَة

1. اسم الفئة العامة:(هُويَّة الشهادة في علم الاجتماع والفروع المرتبطة به)

إنَّ معاينة الدَّليل التَّعريفي للسنوات(1976–1990) للأساتذة في قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد، يجعلنا نصنف التَّكوين الأكاديمي لهم ضمن مرتبة التَّكوين العالمي، فغالبيتهم انحدروا من جامعات عالمية معروفة، إذ توزَّعت شهاداتهم بين الدبلوم العالي، الماجستير، الدكتوراه، واظهر الدَّليل التَّعريفي أنَّ الجامعات الأمريكية شكَّلت المرتبة الأولى بواقع(13) حالة تحصيل اكاديمي متنوِّعة، منها على التوالي: (شيكاغو، واشنطن، ميشغان، بنسلفإنيا، سيراكوز، فلوريدا، بيركلي، ميزوري، كاليفورينا، ماسوستش، تولين، ويست كنتاكي)، مقابل (8) حالة تحصيل اكاديمي سُجَّلت للجامعات الأوربية وهي على التوالي:(فرنسا–مونبليه، فرنسا–بوردو، المانيا–هروهم برخوم، المانيا–برلين الحرة، السويد، اكسفورد–بريطانيا، لندن–بريطانيا). أما الجامعات العربية والمحلية فقد سجَّلت نحو(9) وهي: (مصر–القاهرة، العراق–بغداد).

جدول 2هُويَّة التَّحصيل الأكاديمية في علم الاجتماع والفروع المرتبطة به للسنوات(1976–1977)

ت	الاستاذ	الشهادة*	التخصص	الجامعة	السنة
1	حاتم عبد الصاحب الكعبي	دكتوراه	علم الاجتماع	شيكاغو-أمريكا	1954
2	قيس نعمة جاسم	دكتوراه	انثروبولوجيا	واشنطن-أمريكا	1964

3	خلوف احمد الجدعان	ماجستير	علم الاجتماع	بنسلفانيا-أمريكا	1960
		دكتوراه	غير متوفر**		
4	عز الدين علي حسين	دكتوراه	علوم اجتماعية	قاهرة-مصر	1963
5	متعب مناف جاسم	دكتوراه	علم الاجتماع	سيراكوز-أمريكا	1963
6	مصطفى سعيد ابراهيم	ماجستير	علم الاجتماع	فلوريدا-أمريكا	1956
		دكتوراه	غير متوفر		
7	مليحة عبدالله عوني	ماجستير	علم الاجتماع	بيركلي-أمريكا	1956
		دكتوراه	غير متوفر		
8	يونس حمادي علي	دكتوراه	علم الاجتماع	ميزوري-أمريكا	1968
9	فتحية عبد الغني حسين	ماجستير	علم الاجتماع	فريسنو-كاليفورينا-أمريكا	1964
		دكتوراه	علم الاجتماع	نيويورك	1984
10	فوزية عبد الكاظم	دكتوراه	علم الاجتماع	مونبليه-فرنسا	1968
11	بهيجة احمد شهاب	دبلوم عالي	خدمة اجتماعية	كاليفورينا-أمريكا	1953
		دكتوراه	غير متوفر		
12	محسن حسين علي	دكتوراه	علم الاجتماع	ماسوستش-أمريكا	1964
13	علاء الدين جاسم محمد	دكتوراه	انثروبولوجيا	قاهرة-مصر	1974
14	شاهزن شكرجي	دبلوم	خدمة اجتماعية	السويد	1971
		دكتوراه	غير متوفر		
15	حامد صادق سلمان	دكتوراه	علم الاجتماع	هروهم برخوم-المانيا الاتحادية	1975
16	ابراهيم محمد علي حيدر	دكتوراه	علم الاجتماع	برلين الحرة-المانيا الاتحادية	1974
17	معن خليل العمر	دكتوراه	علم الاجتماع	ميشغان-أمريكا	1976
18	خالدة عيسى طه	ماجستير	خدمة اجتماعية	تولين-أمريكا	1956
		دكتوراه	غير متوفر		
19	خالد فرج فتحي	ماجستير	انثروبولوجيا	اكسفورد-بريطانيا	1967
		دكتوراه	غير متوفر		
20	لميس عبد الوهاب الامين	ماجستير	علم الاجتماع	قاهرة-مصر	1971
		دكتوراه	غير متوفر		
21	احمد عيسى علي	ماجستير	علم الاجتماع	ويست كنتاكي-أمريكا	1973
		دكتوراه	غير متوفر		

22	عمر زكي عبد الوهاب	ماجستير	علم الاجتماع	الجامعة الأمريكية-بيروت	1974
		دكتوراه	غير متوفر		
23	ناهدة عبد الكريم حافظ	ماجستير	خدمة اجتماعية	بغداد-العراق	1975
		دكتوراه	غير متوفر	لغاية	1990
24	مازن بشير محمد	دكتوراه	علم الاجتماع	بوردو-فرنسا	قيد الدراسة
25	احسان محمد الحسن	دكتوراه	علم الاجتماع	لندن-بريطانيا	1977-1966
26	عبد المنعم علي نجرس	دكتوراه	علم الاجتماع	اكستر-بريطانيا	1978
27	مجيد حميد عارف	دكتوراه(متوفى)	انثروبولوجيا	اكاديمية العلوم السوفيتية	غير متوفر
28	عبد اللطيف عبد الحميد العاني	ماجستير	علم الاجتماع	بغداد-العراق	1976
		دكتوراه	غير متوفر	لغاية	1990
29	سعدي فيضي عبد الرزاق	ماجستير	انثروبولوجيا	غير متوفر	غير متوفر
		دكتوراه	غير متوفر	لغاية	1990
30	عبد السلام سبع	دكتوراه	خدمة اجتماعية	بوردو-فرنسا	1979
31	سهيل صالح السامرائي	دكتوراه	علم الاجتماع	غير متوفر	غير متوفر
32	احلام شيت حميد	ماجستير	علم الاجتماع	بغداد-العراق	غير متوفر
		دكتوراه	غير متوفر	غير متوفر	غير متوفر
33	انعام جلال توفيق	ماجستير	علم الاجتماع	بغداد-العراق	غير متوفر
		دكتوراه	غير متوفر	غير متوفر	غير متوفر

*** تمثل الشهادة للاساتيذ، عند اخر شهادة حصلوا عليها لغاية كتابة الدليل التعريفي للسنوات(1976-1977 /1990)**

**** تم التقيّد بالبيانات المتوفرة فقط كما في الدليلين التعريفين، لذا لم نجد بيانات متوفرة عن بعض شهادات الدكتوراه**

يبدو واضحًا، أنَّ التحصيل الأكاديمية للأساتذة انحدر من الجامعات العالمية بواقع(26) حالة تحصيل، وهذه دلالة موزعة إلى مستويين من التحليل: الأول، حداثة التأسيس الأكاديمية–الجامعة في العراق، إذ من المعلوم تأسست جامعة بغداد سنة(1954) مما يتطلب اعداد جيل من الأساتذة، فكان الابتعاث إلى الجامعات العالمية امرًا ضروريًا، الثاني الادِراك التَّنموي المُسبَّق حيَال دور الجامعات العالمية في تَحديث التعليم في العراق، وسنجد أنَّ لهذا الادراك نتائج ايجابية عند محأور التأليف الاصيل، والترجمة التأسيسية للمراجع الاساسية في السوسيولوجيا مثل: كتاب الايديولوجيا واليوتوبيا لكارل مانهايم بترجمة عبد الجليل الطاهر(1968)، وقبله كتاب المدرسة الميكانيكية والاقتصادية في علم الاجتماع الكسندر سوروكن بترجمة حاتم الكعبي(1947).

جدول 3 نوعيَّة التَّكوين الأكاديمي للاختصاص

التكوين الأكاديمي / المجال	عالمي	عربي	محلي	المجموع
علم الاجتماع	19	2	3	24
الانثروبولوجيا	3	2	-	5
الخدمة الاجتماعية	4	-	1	5
المجموع	26	4	4	31

واللافت من الدَّليل التَّعريفي عند فئة الشهادة في التخصصات الثلاث المعروضة، أنَّ تحصيلها عالميًا إلى حد كبير بواقع(26)، وهذه الدلالة تقود إلى امكانية وصف حالة الابتعاث الأولى في العراق، أي منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وبشكل أكبر الحرب العالمية الثانية من القرن العشرين، أنها بداية تأسيسية للعلوم الانسانية والاجتماعية في جامعة بغداد، مما ساهم في تطوّر هذه العلوم، فمن الواضح أنه في تلك الحقبة الزمنية، ظهرت اسماء لامعة تركت بصمات علمية وفكرية واضحة ما زالت محل دراسة ونقاشات، وقد يقتصر الحديث هنا على رواد السوسيولوجيا بمستوى الدكتور علي الوردي والدكتور عبد الجليل الطاهر والدكتور حاتم الكعبي، إلى جانب رائد الانثروبولوجيا شاكر مصطفى سليم الذي حصل على شهادة الدكتوراه سنة(1955).

اسم الفئة الفرعية: (هُويَّة التَّكوين للدكتوراه في علم الاجتماع فقط)

جدول 4 يوضح هوية التكوين الأكاديمي في علم الاجتماع

ت	الأستاذ	الجامعة	السنة
1	حاتم عبد الصاحب الكعبي	شيكاغو-أمريكا	1954
2	عز الدين علي حسين	قاهرة-مصر	1963
3	متعب مناف جاسم	سيراكوز-أمريكا	1963
4	يونس حمادي علي	ميزوري-أمريكا	1968
5	فوزية عبد الكاظم	مونبليه-فرنسا	1968
6	محسن حسين علي	ماساتشوستس-أمريكا	1964
7	حامد صادق سلمان	هروهم برخوم-المانيا الاتحادية	1975
8	ابراهيم محمد علي حيدر	برلين الحرة-المانيا الاتحادية	1974
9	معن خليل العمر	وين-ميشغان-أمريكا	1976

10	مازن بشير محمد	بوردو-فرنسا	1976
11	احسان محمد الحسن	لندن-بريطانيا	1977
12	عبد المنعم علي نجرس	اكستر-بريطانيا	1978
13	عبد السلام سبع	بوردو-فرنسا	1979
14	سهيل صالح السامرائي	غير متوفر	-

عند معاينة الفئة الفرعية المتعلقة بشهادة الدكتوراه من الدليل التعريفي حصرًا، اتَّضح أنَّ منحها اعتمد على الجامعات العالمية المعروفة في اهتمامها وسجالها بالسوسيولوجيا، وهي كما بَدَت اربعة جامعات: (أمريكا، فرنسا، المانيا، بريطانيا)، إذ مثَّلت الجامعات الأمريكية المرتبة الأولى بواقع(5) من اصل (14) حالة تحصيل اكاديمي للدكتوراه، في حين جاءت المدرسة الفرنسية بالمرتبة الثانية بواقع(3) جامعات، والمدرسة الالمانية بالمرتبة الثالثة بواقع(2) جامعة، والمدرسة البريطانية بالمرتبة الرابعة بواقع(2) جامعة .

والمُلاحظ، أنَّ هذا التَّنوع في الجامعات العالمية لايلغي انفراد هُويَّة مدرسيَّة بعينها، والحديث عن الجامعات الأمريكية التي تفوَّقت عددًا من حيث الابتعاث اليها، فمنذ الحرب العالمية الأولى وحتى أواسط الخمسينيات اخذت السوسيولوجيا في أمريكا مكانة وهُويَّة متميزة عن المدرستين الفرنسية والالمانية، إذ هاجر اليها علماء كُثر امثال: تيودور آدورنو، ماكس هوركيمير، هربرت ماركوزه، كارل مانهايم، آلفرد شوتز، وتأسست على أثر ذلك مدارس واقسام لعلم الاجتماع في ولايات امريكية عدة، اخذت مسارًا مهنيًا متَّنوعًا وجديدًا، كما هو الحال مع مدرسة شيكاغو ومؤسسها روبرت بارك(R. E. Park) إلى جانب مدرسة كولومبيا، ففي مدرسة شيكاغو اعتمد دارسيها على المناهج النوعيَّة كدراسات الحالة والملاحظة، أما كولومبيا فشهدت دراسات كمية–احصائية بفضل جهود المهاجر اليها بول لازارسفيلد(1901–1976) الذي اسس مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية في جامعة كولومبيا سنة(1940) (برتيلو، صفحة 69).

وتزامنًا مع هذا الازدهار في تَّنوع المنهج والموضوع في علم الاجتماع، فإن الدَّليل التَّعريفي للسنوات(1976–1990) في جامعة بغداد اظهر تفوقًا عدديًا في الابتعاث إلى الجامعات الأمريكية، فكان أول جيل تأسيسي للسوسيولوجيا في العراق هو من الجامعات الأمريكية، وقد قادتنا دلالة السنة التَّعريفية لمنح شهادة الدكتوراه للأستاذ الدكتور حاتم الكعبي سنة(1954)، تتبع مسار الحصول على الشهادة لأقرانه الآخرين، كالدكتور الوردي الذي حصل على الدكتوراه سنة(1950)، ثم الدكتور عبد الجليل الطاهر سنة(1952)، وهو ما يُتيح دلالتان ، الأولى التأثير الذي تركته الجامعات الأمريكية(تكساس، شيكاغو) على اسهأمات هذا الجيل، الثانية صدارة هذه الجامعات عالميًا مِمَّا يُعطي السَّبق للعراقيين في الابتعاث إلى هذه الجامعات، اذا ما عرفنا أن المدرسة المصرية تأثرت بنتاجات دوركهايم الفرنسية، فضلًا أنَّ الجامعات الأمريكية حتى منتصف السبعينيات،

وهي المدة التي ما زال الابتعاث اليها مستمرًا، حَظِيت بإستشهاداتٍ مرجعيَّةٍ عالميَّةٍ، إلى جانب تفوّقهم بذلك خلال المُدَّد الزمنية الممتدة من(1950–1973)، كما ينقل ذلك العالمان جوناثان كول وهاربيت زوكرمان في ادناه : (H.Zuckerman, p. 152)

جدول 5 العلماء العشرة من مجموع (113) عالمًا الذين نالوا نسب استشهادات متقدمة كما ورد في دراسة كول وزوكرمان

ت	1954-1950	1959-1955	1964-1960	1969-1965	1973-1970
1	Gilfillan C.s. غيلفيلان	Merton, R.K. ميرتون	Merton, R.K. ميرتون	Merton, R.K. ميرتون	Merton, R.K. ميرتون
2	Lundberg .G لوندبرغ	Lazarsfeld ,P.F. لازارسفيلد	Crombie, A.C. كرومبي	Price ,Derek برايس	Price ,Derek برايس
3	Demey, J. ديوي	Gaudet, H. غوديه	Barber, B. باربر	Garfield, E. غارفيلد	Hagstrom, w.o. هاغستروم
4	Hart, H. هارت	Wilkening, E.A ويلكننغ	Gillispie, G.C. غيللسبسي	Hagstrom, W.O. هاغستورم	Cole, J.R. كول
5	Parsons, T. بارسونز	Wilson, L. ويلسون	Lazarsfeid, P.F. لازارسفيلد	Zuckerman, H. زوكرمان	Ben–David, J. بن دافيد
6	Merton, R.T. ميرتون	Stimson, D.L. ستمسون	Kornhauser,W. كورنهأورز	Gorodon,G. غوردون	Cole, S. س. كول
7	Weber, M. فيبر	Compton, A.H. كومبتون	Flexner,A. فلكسنر	Glaser, B. غلايزر	Zuckerman, H. غوردون
8	Shils, E. شلز	Kellner, A. كلنر	Goodrich, H.B. غودريتش	Garvery, W.D.	Gaston, J.C. غاستون
9	Conant, J.B. كونانت	Robertson, T. روبرتسون	Kuhn, T.S. كُون	Kessler ,M.M. كسلر	Kuhn, T.S. كُون
10	Leighon, A.H. ليتون	Parsons, T. بارسونز	Caplow, T. كابلو	Gartter, A.M. كارتر	Grane, D. د. كراين

ويظهر من مراجعة الجدول اعلاه، أنَّ تأثير المدرسة الأمريكية بجهود روبرت ميرتون، إلى جانب علماء محدثون الذين ظهروا في المدة(1965–1973) كان واضحًا ويؤكد على تفوّق هذه المدرسة. ومن خلال تتبع فئة الدكتوراه في الدَّليل التَّعريفي للسنوات(1976–1990) بدَا أنَّ المدرسة الأمريكية بِمُنظِرِيها يُحظون باستشهادِ واضح من قبل الباحثين العراقيين، لاسيما اذا ما عدنا إلى الدكتور الكعبي وممن زامنه في الحصول على شهادة الدكتوراه كالوردي والطاهر، ففي اسهأمات الكعبي وجدنا تأثير التفاعلية الرمزية بجهود هربرت بلومر(1900–

1987)، كما في كتابه السلوك الجمعي سنة(1973) والذي أورد فيه–أي الكعبي– مقدمة استاذه بلومر، إذ الأخير اعتبر كتاب الكعبي اضافة للنتاج الفكري في علم الاجتماع (الكعبي، صفحة 11)، كما وجدنا تأثير المدرسة الأمريكية بجهود وليم أوكبرن حول ازدواج الشخصية، روبرت ماكيفر حول التناشز الاجتماعي، ثورشتاين فبلن حول الطبقة المرفهة.

وَيبدُو على بناء المرجعيَّةِ النظريَّةِ والمفاهيميَّةِ للباحثين العراقيين، ارتهانها بشكل واضح إلى المدرسة الأمريكية، ولكي نَفْهم هذا الارتهان فإن مراجعة نتاجاتهم كما اشار إلى ذلك الاستاذ الدكتور معن خليل عمر في كتابه التأسيسيّ رواد علم الاجتماع في العراق (عمر، الصفحات 27–30)، تجعلنا نتوَافرُ على جُملةٍ من العلماء الأمريكان الذين كانوا ذات اثر واضح في مقاربة المفاهيم وفق ظروف مُعاينةِ جديدةٍ، وهي بلاشك ظروف الحالة العراقية التي تحوّلت إلى مُختبرٍ لهذه المفاهيم، لكن وهو استدرَاكٌ يؤكد مهارة الباحثين العراقيين في توظيف هذه المفاهيم لرصد ظواهر عِدَّة، فما مَيَّز هذه المفاهيم تنوّعُها كما في حالة الوردي والطاهر والكعبي، إذ نجد لديهم مفاهيم متنوّعة رغم ارتهانها إلى المدرسة الأمريكية، فعند الوردي نجد مفاهيم القيم الاجتماعية، والمثل العليا، والتناشز الاجتماعي، والاستهلاك المظهري، والنزعة الجدلية للعراقيين، فهي مفاهيم تأسيسية عند المعاينة الاجرائية لها، وهذا مالم يفعله احد قبله في الحالة العراقية أَقَلَّها، رغم النَّقد المنهجيَّ الذي وجهه الكعبي اليه في حاشيةِ كتابهِ السلوك الجمعي(1973) ص(246)، من عزوف الوردي عن المنهجية الكميَّة في جمع البيانات وتحليلها، فمع وجَاهةِ هذا النَّقد الا إنه لايمثل تبرير الباحث وهو الوردي، فالاخير برَّر لنفسه بشكل مُختلف كما لمسنا ذلك في مقدمة كتابه دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، في أن منهجيَّته نوعيَّة تعتمد على الملاحظة والمقابلة، وهي منهجيَّةُ علميَّةُ ايضا. أما ما يتعلق بالطاهر، فإنه مَال في منهجيَّته لجمع مزايا المناهج الكميَّة والنوعيَّة كما في دراسات التحوّل نحو المجتمع الحضري، والشخصية العراقية، ودراسات ميدانية اخرى، وهو ما يُبرّر تنوّع استشهاده بين المدرسة الأمريكية والمدارس الأوروبية. في حين اجاد الكعبي رغم ارتهانه للمدرسة الأمريكية كما فعل الوردي، الا إنه قدم استشهاداتٍ مرجعيةٍ واحالات توثيقية رصينة، إلى جانب تَوسيعه لنطاق نظرية التفاعل الرمزي في تطبيقاتها نحو الحالة العراقية وهو ما اكده الاستاذ الدكتور معن خليل عمر في كتابه المشار اليه انفًا، مُفسِّرًا المجتمع العراقي في سياق هذه النظرية كما في دراسات مظاهر السلوك الجمعي.

جدول 6 يوضح تأثير هُويَّة التكوين الأكاديمي على النتاج البحثي والتأليفي للباحثين العراقيين

الاستاذ	الإطار النظري	هُويَّة الإطار النظري	العلماء في الإطار النظري
علي الوردي	النزعة الجدلية، والاستهلاك المظهري	أمريكا	ثورشتاين فبلن
	المثل العليا، والقيم الاجتماعية	أمريكا	وليم غراهام سومنر
	ازدواج الشخصية	أمريكا	وليم أوكبرن

	التناشز الاجتماعي	أمريكا	روبرت ماكيفر
عبد الجليل الطاهر	اصنام المجتمع، المجتمع الحضري والزراعي، الشخصية العراقية	أوروبا وأمريكا	كارل مانهايم، علماء جامعة شيكاغو، التحليل الفينومينولوجي، التجريب
حاتم الكعبي	حركات المودة، السلوك الجمعي، الزعامة، الثورة	أمريكا	التفاعلية الرمزية(هربرت بلومر)

إنَّ الجدول(5) يعرض لنا خصائص المعرفة السوسيولوجية–المحلية، وهي خصائص يمكن إجمالها في نقطتين أساسيتين: الأولى، خصائص امريكية–تثاقفيَّةً، والثانية خصائص أمريكية–منهجيَّةً. فالخصائص الأولى التي تُوصف بالتَّثاقفيَّةِ، تضمَّنت تلاقح حضاري متنوِّع، إذ من المعلوم أنَّ أمريكا شكَّلت الوجهة الآمنة أكاديميًا للعلماء المهاجرين بعد الحرب العالمية الأولى والثانية، وقد أشرنا إلى علماء بمستوى كارل مانهايم، بول لازارسفيلد، بتريم سوروكن وآخرين، وهو ما ساعد على اتاحة افكارهم للترجمة والنقل، كما عند عبد الجليل الطاهر وحاتم الكعبي.

أما الخصائص المنهجيَّة، فقد تضمَّنت الحس البراغماتي في التعاطي مع نقل المعرفة السوسيولوجية أو ترجمتها أو تضمينها اكاديميًا في جامعة بغداد، –وكما سنلاحظ ذلك عند معاينة المُقرَّرات الدراسيَّة–، فما عُين على هذه الخصائص أنَّ معاينة الظواهر المجتمعيَّة في الحالة العراقية لم تكن نظرية خالصة، بل شَكل الميدان مجالًا لاقتناص الموضوعات وتبويبها في أُطر نظرية ميَّزت –على الأقل– جهود علي الوردي، الذي يُنتقد–وهو انتقاد غير مبرَّر– على منهجيتَّه واعتبارها بعيدة عن المجال التطبيقي، الا أنَّ الوردي استخدم الملاحظة بالمشاهدة واحيانًا المشاركة لتحويل المعطيات المشاهدة إلى (تكييف) نظري بمساندة الأطر النظرية الأمريكية غالبًا، أو العكس، وهو حس براغماتي–واقعي.

وعمومًا فإن تأثير العلماء الأمريكيين على الباحثين العراقيين يبدو كبيرًا، حتى فيما يتعلق بكتابة الرسائل والأطروحات العلمية، التي يُشِيعُ فيها استخدام النظرية البنائية الوظيفية سواء عند بارسونز أو ميرتون (علي، صفحة 220).

فئة التَّكوين الأمريكي للدكتوراه

جدول 7 يوضح هوية التكوين الأمريكي للدكتوراه

هُويَّة التَّكوين الأمريكي للدكتوراه	جامعة شيكاغو	جامعة سيراكوز	جامعة ميزوري	جامعة ماسوستش	جامعة ميشغان
	حاتم الكعبي	متعب مناف	يونس حمادي علي	محسن حسين سعيد	معن خليل العمر

قد لانبالغ في القول: أنَّ ذروة ازدهار السوسيولوجيا في العراق ارتبطت بجهود المبتعثين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بل أنَّ نتاجات العلماء العراقيين تأليفًا وترجمةً –كما تمَّت الاشارة انفًا– يُؤشِّر عليها الرصانة ونقل المفهوم السوسيولوجي بدقة عالية؛ استنادا للغة المكتسبة من الجامعات الأمريكية.

فقد أسهمت ترجماتهم التأسيسية في اتاحة الاستشهاد بهم عربيًا، وهذا واضح في مراجعة قسم من ترجماتهم لاسيما عند عبد الجليل الطاهر الذي سبق غيره في ترجمة كتاب الآديولوجيا واليوتوبيا، وكذلك الحال عند حاتم الكعبي الذي اسهم في ناحيتين، الأولى ترجمته التأسيسية لكتاب المدرسة الميكانيكية والاقتصادية في علم الاجتماع للعالم بيترم سوروكن، والناحية الثانية تقديمه حقل السلوك الجمعي كحقل جديد إلى اللغة العربية، أما الدكتور الوردي فرغم عدم ترجمته لمصادر، إلا أنه حظي باستشهادٍ كما أشار لذلك (الطاهر لبيب) في دراسته السابقة (علم الاجتماع في تونس نصًا وتدريسًا). ويمكن توضيح جهودهم في الترجمة إلى جانب الاستشهاد من خلال الجدول ادناه.

جدول 8 يوضح قسمًا من نتاجات الترجمة والاستشهاد بالمؤسسين في السوسيولوجيا العراقية

الأستاذ	الترجمة*	الاستشهاد
علم الوردي	-	محلي / عربي
عبد الجليل الطاهر	العشائر والسياسة، تقرير لدائرة الاستخبارات البريطانية(1958)	محلي /عربي
	اصول فلسفة الطبقة الوسطى(1960)	
	المزارع التعاونية الجماعية، شارل بوفيه(1960)	
	الايديولوجيا والطوبائية، كارل مانهايم(1968)	
حاتم الكعبي	المدرسة الميكانيكية في علم الاجتماع، بيترم سوروكن(1948)	محلي / عربي
	المدرسة الاقتصادية في علم الاجتماع، بيترم سوروكن(1948)	

*** اعتمدنا في جمع نتاجات الترجمة على جهود اساتذتنا السابقين وهم: دكتور معن خليل عمر في كتابه رواد علم الاجتماع في العراق، دكتور كريم محمد حمزة في كتابه مرايا السوسيولوجيا، مع بعض المصادر المتوفرة لدينا.**

ومما لاحظنا على نتاجات الحاصلين على الدكتوراه –كما اتَّضح آنفًا–، تنوَّع وتفوَّق الادوات التحليلية والتطبيقية معًا، ففي جهود حاتم الكعبي لاحظنا التأسيس والتحليل لحقل معرفي جديد هو السلوك الجمعي، والذي أصبح مقررًا دراسيًا في قسم علم الاجتماع، فضلًا عن جمع وترجمة وتحليل مقاربات نظرية عديدة من مصادر أمريكية غالبًا في كتابه السلوك الجمعي، وفي جهود متعب مناف سيما النظرية السوسيولوجية كانت واضحة –رغم قلة نتاجاته–، الا أنه قدَّم محاضرات رصينة يشهد له فيها طلابه، أما دكتور يونس حمادي فظهر على اسهأماته القليلة أيضًا الطابع التطبيقي–الكمي لاسيما في كتابه مبادىء علم الديموغرافيا، وكذا الحال ينطبق على جهود دكتور معن خليل العمر، ومن ثم انعكست هذه الاهتمأمات على واقع إقرار مفردات التَّدريس في قسم علم الاجتماع منذ سبعينيات القرن العشرين كما يظهرها الجدول الآتي:

جدول 9 مفردات التَّدريس في علم الاجتماع للسنتين الثالثة والرابعة منذ(1976–1977)

الموضوع(المقرَّر) السنة الثالثة	عدد الوحدات	الموضوع(المقرَّر) السنة الرابعة	عدد الوحدات
طرق البحث الاجتماعي	3	نظريات اجتماعية	3
علم السكان	3	الإحصاء الاجتماعي	3
علم اجتماع العائلة	3	التخطيط الاجتماعي	3
علم الأجرام	3	التغير الاجتماعي	3
علم الاجتماع الصناعي	3	علاج المجرمين	3
علم الاجتماع الحضري	3	الطبقة الاجتماعية	3
السلوك الجمعي	2	علم الاجتماع التطبيقي	2

إنَّ ملاحظة المقرَّرات الدراسيَّة في الجدول (5) يقدم لنا دلالة في شيوع الجانب التطبيقي–البراغماتي في تَدريس هذه المقرَّرات، وهو جانب–كما قلنا– ازدهر في الولايات المتحدة الأمريكية، كما انه شيوع مرتبط بالمرجعيات الأكاديميةة للاساتذة العراقيين الذين ظهروا في الدَّليل التَّعريفي (1976–1977)، لذا فإن أغلب المقرَّرات ذات توجه عملي تُقدَّم إلى المتلقي.

سَادِسا: مُلْحقُ اِسْتِدرَاكَات التَّكوين الأكاديمي كَمَنطِق اِنْعِكاسِي

إنَّ نتائج التحليل حول تَحصيل شهادات الدكتوراه من الجامعات العالمية، هي –بلا شك– أسَّست ظروفًا مُتَاحَةَ للانتاجية البحثيَّة والنوعيَّة الاجتماعية وهو ما اشار اليه الاخوين كول، مِمَّا حدَّدا سُمعة الاستاذ الجامعي في العراق، كل ذلك يندرج في عنوان(التَّكوين العالمي–الأمريكي) في منح الدكتوراه، و ما يُستدرك في هذا التَّكوين، عدم المُمارسة الخطيَّة لمؤشراته مِمَّا وَسْمِ علم الاجتماع في العراق راهِنًا، عِلم عاجز عن ايجاد هُويَّة له، وهذا ما يُؤشَّرُ في ابعاد ابستمولوجية–سوسيولوجية، تبدأُ أولا: بضعف الادوات النظرية والمنهجية التي تمكُّن الباحث من دراسة مسائل أو مشكلات اصيلة، أو الترجمة الذي اصبح فعلًا ماضيًا، وانحصر إلى حد كبير في جهود المؤسسين مثل: عبد الجليل الطاهر وحاتم الكعبي في الجيل الأول، واحسان محمد الحسن في الجيل الثاني، أما سوسيولوجيًا فإن عدسات معاينة الواقع الاجتماعي في العراق انحصرت كذلك في جهود الرواد المؤسسيين. ولذا نعد هذا الاستدراك (المُستَفِزَّ) استدراكًا معكوسًا أو دائريًا (تطوُّر/اخفاق) يمكن ايضاحه أكثر في الرَّسمة الآتية:

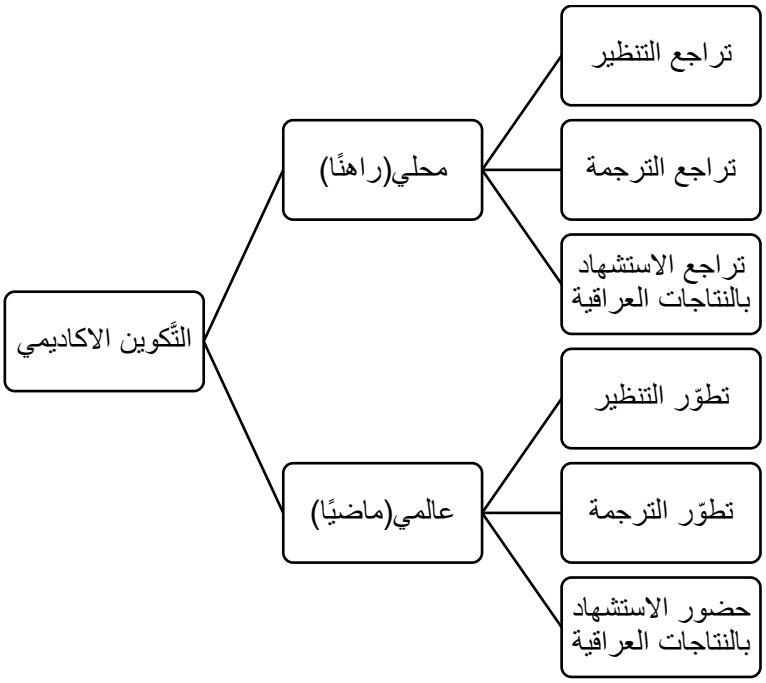

رسم توضيحي 3 استدراك الاخفاق/التطور في ممارسة السوسيولوجيا في العراق

إنَّ السوسيولوجيا كما اكد البَاحِثَين(Zygmunt Bawman& Tim May) مُمَارَسَةَ مُنْضَبِطة تُثِير اسئلة مُحدَّدةً، وهذا جوهر المعرفة، وتستخدم نظريات أو مقاربات كعدسات سوسيولوجية للمجتمع والعلاقات الاجتماعية (ماي، صفحة 23). وما قام به اصحاب التَّكوين العالمي–الأمريكي من الأساتذة العراقيين هو اعادة تقديم هذه العدسات بهُويَّة عراقية والتي شكَّلت دليلًا (ببليوغرافيا) في وصف البناء الاجتماعي في العراق بجماعاتِهِ المُتنوِّعة، اِتِّساقها/تنافرها، واللاَّفت بدرجة كبيرة أنَّ هذا التَّكوين كان مُرشِدَا مُنْضبِطًا كمُمارسة سوسيولوجية اِنْتَهجها كُلٌّ من الوردي في دراساته عن الشخصية وخصائص المجتمع العراقي، وكذا الحال بالنسبة إلى الطاهر في دراساته عن العشائر والشخصية، ودراسات الكعبي حول مظاهر التغيُّر الاجتماعي وتحديدًا عن حركات المودة والثورة وأنماط السلوك الجمعي.

إنَّ المنطق (الانعكاسي) يكمُنُ في الاستِدرَاك حول توقُّف هذه المُمَارسة المُنضَبِطة عبر مُؤشِّراتها في الرَّسمة أعلاه مثل: غياب التَّنظير وهو ما ميَّز مرحلة الرواد المؤسسون، وغياب التَّرجمة، واخيرا غياب الاستشهاد بالنِّتاجات العراقية في حقل السوسيولوجيا، ومن ثم، فإن واقع المُمَارسة السوسيولوجية(راهِنًا) ليست مُمَارسة خطِيَّة–تطوُّريَّة، وكل ما نَصبُو اليه اليوم هو اجراء دراسات ميدانيَّة–مسحيَّة يكتفي كِتَابُهَا بإعادة ذات الاشكاليات البحثيَّة من سوء استخدام النظريات وسوء استخدام المناهج، واخيرًا بَدَاهَة وصف العلاقات الاجتماعية.

الخَاتِمَةُ والإِستِنْتَاجُ

قَادَتنَا نتائج تحليل فئات التَّكوين الأكاديمي للأساتذة العراقيين في السنوات(1976–1990)، إلى بيان مركزية التَّكوين العالمي لهؤلاء الأساتذة، إذ اتَّضح أنَّ جَلَّهُم انْحدَرُوا من مرجعيَاتِ اكاديمية عالمية تأسيسيَّة في علم الاجتماع، والخدمة الاجتماعية، والانثروبولوجيا. وعند معاينة الشهادات الممنوحة في علم الاجتماع حصرًا، فقد تبيَّن أنَّ(14) حالة تَّكوين هي عالمية سواء من الجامعات الأمريكية أو الفرنسية أو الالمانية أو البريطانية والاتحاد السوفيتي(سابقًا)، واللافت من النتائج أنَّ هذه المدارس هي الركائز الاساسية في تطور حقل السوسيولوجيا في العالم، مما ظهر معنا أنَّ الادراك المُسبَّق في ارسال الطلبة العراقيين كان ادراكًا مقصودًا(تخطيط) حيَال اعتبار هذه المدارس المرجعيات الأكاديميةة الدقيقة في تأسيس علم الاجتماع.

وعند فحص جامعات هذه المدارس، فقد بدَا التفوَّق واضحًا للجامعات الأمريكية، فهي شكَّلت المرتبة الأولى بواقع(5) جامعات من اصل(14) حالة تحصيل اكاديمي للدكتوراه في فئة التَّكوين العالمي، وهي على التوالي: (شيكاغو، سيراكوز، ميزوري، ماساتشوستس، مشيغان) فهي جامعات تحظى بتصنيفات مرموقة.

إنَّ فئة التَّكوين الأمريكي للأساتذة العراقيين، بدَا عليها الفئة الاكثر حضورًا في حقل السوسيولوجيا العراقية للسنوات (1976–1990)، وهو ما يعني أنَّ هُويَّة المدرسة العراقية متأثرة إلى حد كبير بالمدرسة الأمريكية، وما ساعد على هذا الاستنتاج ما كتبه المؤسسين كما ظهروا في الدَّليل التَّعريفي، فالوقوف عند الدكتور حاتم الكعبي الذي تحصّل على الدكتوراه سنة(1954) من جامعة شيكاغو، قادنا إلى مراجعة نتاجاته ونتاجات زملاؤه سيمَا الدكتور علي الوردي، فاتَّضح شيوع الاقتباسات والاستشهادات بأعلام المدرسة الأمريكية، فلاحظنا عند الكعبي تأثير(هربرت بلومر) مؤسس التفاعلية الرمزية سيمَا في كتابه التأسيسي السلوك الجمعي، الذي اصبح مقررًا دراسيًا في جامعة بغداد منذ سبعينيات القرن العشرين، أما الدكتور الوردي فإن تأثير العلماء الأمريكيين واضحًا كذلك مثل: (وليم أوكبرن W. Ogburn، روبرت ماكيفرR. Maclver، ثورستين فيبلن T. Veblen...)، إلى جانب تأثير تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون اللذين كُثر الاستشهاد بهما في الحالة العراقية. إنَّ تأثير فئة التَّكوين العالمي–الأمريكي في الحالة العراقية امتدت إلى إقرار مفردات التَّدريس كما ظهر في الدَّليل التَّعريفي(1976–1977)، إذ لاحظنا حضور الجانب التطبيقي–البراغماتي في تقديم السوسيولوجيا إلى المُتلقِّين–الطلاب.

ولابُدَّ الإشارة في خاتمة الدراسة، انه ظهر استدراك يتعلق بتراجع مُؤشَّر فئة العالمي في منح الشهادات في علم الاجتماع والاقتصار على مُؤشَّر المحلي، وهو ما أكد فرضية الأخوين (كول) نحو مكانة الجامعة في تحديد مقام الأستاذ الجامعي، والذي يُرهن تكوينه العلمي إلى القدرات البحثية والتَّطبيقيَّة المتفوَّقة حسب مُؤشر العالمي، أما في المُؤشر المحلي فيبدو التشرذم بين الجانبين كما اشار ديفيد ميلز في دراسته السالفة، إذ يكون الاقتصار على الجانب التطبيقي في بحث المشكلات ذات الطابع الكمي فقط، مقابل ضعف القدرات النظرية والمقارنة.

إنَّ الاستدراك (الانعكاسي) يكمُنُ حول توقُّف المُمَارسة السوسيولوجية المُنضَبِطة عبر مُؤشِّراتها مثل: غياب التَّنظير وهو ما ميَّز مرحلة الرواد في العراق، وغياب التَّرجمة، وأخيرا غياب الاستشهاد بالنِّتاجات العراقية في حقل السوسيولوجيا، ومن ثم، فإن واقع المُمَارسة السوسيولوجية(راهِنًا) ليست مُمَارسة خطِيَّة–تطوُّريَّة، وكل ما نَصبُو إليه اليوم هو إجراء دراسات ميدانيَّة–مسحيَّة يكتفي كِتَابُهَا بإعادة ذات الاشكاليات البحثيَّة من سوء استخدام النظريات وسوء استخدام المناهج، وأخيرًا بَدَاهَة وصف العلاقات الاجتماعية.

المصادر والمراجع العربية

1. ابراهيم الحيدري. (2012). شخصية الفرد وازدواجيتها لعلي الوردي(محأولة لتفسير طبيعة المجتمع العراقي). *اضافات*، الصفحات 72-73.
2. احمد موسى بدوي. (30 يونيو، 2012). التكوين العلمي السوسيولوجي في المشرق العربي(علم الاجتماع بحثاً وتدريساً في مصر والسودان. *المستقبل العربي*، صفحة 132.
3. الطاهر لبيب. (1989). علم الاجتماع في تونس(التدريس نصاً وروحاً). تأليف محمد عزت (وآخرون)، *نحو علم اجتماع عربي(علم الاجتماع والمشكلات العربيةالراهنة)* (صفحة 325). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
4. الطيب شنتوف. (6 حزيران، 2018). خمسون سنة من السوسيولوجيا المغاربية في الفترة ما بعد الكولونيالية. *مجلة عمران*، صفحة 138.
5. جان ميشال برتيلو. (1999). *بناء علم الاجتماع* (المجلد 1). (جورجيت الحداد، المترجمون) بيروت: عويدات.
6. جيرار ليكلرك. (2004). *العولمة الثقافية(الحضارات على المحك)* (المجلد 1). (جورج كتورة، المترجمون) طرابلس: دار الكتاب الجديد.
7. حاتم الكعبي. (1971). *حركات المودة* (المجلد 1). الديوانية: مطبعة الديوانية الحديثة.
8. حاتم الكعبي. (1973). *السلوك الجمعي*. الديوانية: مطبعة الديوانية الحديثة.
9. حاتم الكعبي. (1973). *السلوك الجمعي* (الإصدار 1). الديوانية: مطبعة الديوانية.
10. حاتم راشد علي. (2022). *سوسيولوجيا المعرفة الأكاديميةة في العراق، حالة النتاج البحثي في اقسام علم الاجتماع* (المجلد 1). بيروت: العارف.
11. زيغمونت بأومان وتم ماي. (2023). *التَّفكير سوسيولوجيًا* (المجلد 1). (حجاج ابو جبر، المترجمون) وهران: ابن النديم.
12. سعد الدين ابراهيم. (30 يونيو، 2012). المرجعيات الغربية للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي(مقاربة تأليفية). *المستقبل العربي*، صفحة 97.
13. عبد الجليل الطاهر. (1956). *اصنام المجتمع*. بغداد: مطبعة الرابطة.
14. عبد الجليل الطاهر. (1969). القوقعة والقلق في الشخصية العراقية. *المثقف العربي*، صفحة 35.
15. عبد الرحمن ابو زيد ولي الدين ابن خلدون. (2004). *المقدمة(الباب الثاني: في العمران البدوي والامم الوحشية وما يعرض في ذلك من الاحوال)* . بيروت: دار الفكر.

16. عروس الزبير. (30 يونيو، 2012). مدخل إلى تاريخ وواقع الممارسة السوسيولوجية(المدرسة المغاربية نموذجاً. *المستقبل العربي*، صفحة 113.

17. علي الوردي. (1965). *دراسة في طبيعة المجتمع العراقي(محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الاكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث)*. بغداد: العاني.

18. فالح عبد الجبار. (2014). *في الاحوال والاهوال(المنابع الاجتماعية والثقافية للعنف)* (المجلد 2). بغداد: ميزوبرتاميا.

19. معن خليل عمر. (1990). *رواد علم الاجتماع في العراق* (المجلد 1). بغداد: وزارة الثقافة والاعلام.

20. ميشال دوبوا. (2008). *مدخل إلى علم اجتماع العلوم* (المجلد 1). (سعود المولى، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

21. ميشال دوبوا. (2008). *مدخل إلى علم العلوم* (المجلد 1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

22. نورمان فاركلوف. (2009). *تحليل الخطاب(التحليل النصي في البحث الاجتماعي)* (المجلد 1). (طلال وهبه، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

23. هادي صالح محمد. (1990). *آفاق علم الاجتماع في الوطن العربي*. كلية الاداب، علم الاجتماع. بغداد: جامعة بغداد.

المصادر والمراجع الانكليزية

1. **Angela Brww, e. a. (2015, may 9). *Research productivity and academics' conceptions of research.* Retrieved april 22, 2023, from https://www.researchgate.net/publication/282599881_Research_productivity_and_academics%27_conceptions_of_research.**

2. **Elisabeth. M . S, L. B. (2017, 6 6). United States, Europe and Asia: Diversity in Nobel prize-winning affiliations. *International Higher Education, The Boston College Center For International Higher Education*, p. 12.**

3. **H.Zuckerman, J. &. (1975). The Emergence of Ascientific Specialty: The Self-Exemplifying Case of The Sociology Of Sociology of Science. In L. A.Coser, *The Idea of Social Structure: Papers in Honor of Robert K. Merton* (p. 152). New York: Harcourt Brace Jovaovich.**

4. **Qazzaz, A. A. (1972, February 1). Sociology in Underderdeveloped Countries(A case Study of Iraq). *The Sociological Review*, pp. 93-103.**

5. **Zuckerman, J. R. (1984). The productivity puzzle: persistence and change in patterns of publication on men and women. In M. W. Maehr, *Advances in Motivation and Achievement: Aresearch Annual* (pp. 242-243). Greenwich,Conn: JAI Press.**